

شعراء معاصرون مغمورون

للاستاذ الدكتور محمد كامل حسين

١ - من طنطاوى سليم

وأول حديث لى عن الشعراء المغمورين ، هو الحديث عن شاعر معاصر هو الأستاذ حسن طنطاوى سليم مدرس التربية بـ مدرسة النيا الثانوية ، فقد سمعت منذ شهور قطعة من شعره كان يحفظها صديق زميل ، فأعجبتنى تلك القطوعة لما فيها من شاعرية وفن أصيل ، لاحظت أن الشاعر لم يكن من التكاثرين ولا من المنقذين ، إنما يرسل الشعر عن طبيعة فنان متمكن من فنه فى الفاظ سهلة يسيرة ليس بها غموض ولا تعقيد ، فهو يقول فى هذه القطوعة

وأى فى الأمر متما	تغلى الزهد والورع
وأقسم لا يرى قرا	بدا ، إلا به ولما
فصار الحب مذهبه	وماد لقيده تيسا
ومصرف الدهر شيبه	وصير رأسه شيما
ودق المم أعظمه	فذا تاب ولا امتما
عذاب الحب شرهته	رضينا بالذى شرعا

حقيقة أرى كثيرا من الشعراء المتقدمين تناولوا النرض فى شرم ، وذكروا أمثال هذه الماني ، ولكن الشاعر الحديث أرق من القدماء ، ولا سيما البيتين الأخيرين .

طلبت المزيد من شعر هذا المغمور ، وأردت أن أعرف شيئا من ترجمة حياته ، فكان من حظى أن ألقاه وأنحدث إليه ويتحدث إلى ، ففرت أنه رجل عصامى حقا ، نشأ فى أسرة فقيرة ، ولكنه كافح فى الحياة ، وذاق الحلو والمر ، واضطر إلى أن يلتصق قوته فى الوقت الذى كان يهيم نفسه فيه للحصول على الشهادات الدراسية ، يشتغل مرة كاتبا عند صائغ ، ومرة أخرى كاتبا عند محام ، ثم يحصل على كفاءة التلميم الأولى فى عين مدرسا إلزاميا ، فناظرا إلزاميا أيضا ، ولكن لم تقم به همة عند هذه الوظائف بل درس وجد فى الدرس حتى حصل على دبلوم التجارة الليلية فى نفس السنة التى حصل فيها على شهادة تجهيزية دار العلوم ، وقد ساعدته مواهبه وملكانته على أن يحصل على هاتين الشهادات من المنزل دون أن يتلقى العلم عن مدرس بالرغم من كده فى أعماله الأخرى التى اضطرته إليها الحياة ، واستمر فى كفاحه حتى حصل على إجازة التدريس فى دار العلوم وتقلب فى مناصب التدريس بالمدارس الابتدائية والثانوية حتى استقر به المقام فى بلدة القى نشأ فيه ، وأصبح قائما بما وهبه الله من سعة فى الرزق . فآزددت

روى ابن خلكان فى حديثه عن ربيعة الرأى أن بكر بن عبد الله الصنمانى قال : أتينا مالك بن أنس فجعل يحدثنا عن ربيعة الرأى ، وكنا نستزيده من حديث ربيعة ، فقال لنا ذات يوم : ما تصنعون بربيعة وهو تأم فى ذلك الطاق ؟ فأتينا ربيعة فأبنا ، وقلنا له : أنت ربيعة ؟ قال نعم . قلنا : أنت الذى يحدث عنك مالك ابن أنس ؟ قال نعم . قلنا : كيف خطر بك مالك وأنت لم تخطر بنفسك ؟ قال : أما علمتم أن مثقالا من دولة خير من حمل علم الاله هكذا استطاع ربيعة الرأى بهذا الرد الفحتم أن يسكت من جاء يؤنبه ، وكانت كلماته هذه أهدق تصوير لما عليه المجتمع فى كل العصور ، وكل البيئات ، فقد أدرك ربيعة أن العالم لا يعظم قدره إلا إذا اتصل بذى سلطان ، وأن الشاعر لا ينبه ذكره إلا إذا عاش فى كنف عظيم ، وأن الأديب لا يحمده أمره إلا إذا حظى بصحبة من بيدم الأمر . والتاريخ يحدثنا بأنه قل أن نجد مالا قدر علمه فى حياته ، أو شاعرا سار شعره ، أو فنانا علا صيته إلا وجدنا وراءه صاحب أمر يقدمه إلى الناس ، وعندئذ فقط يلقى من الجماهير تقديرا أفته ، وإشادة بذكره وإعجابا بمواهبه ، أما هؤلاء الذين وهبوا ملكات علمية أو فنية ولم يستطيعوا الاتصال بعظيم أو كبير فهم يعيشون متلونين على أنفسهم ، متزوين فى عقور وبارم ، لا يشمر بهم أحد ، ولا تعرف ملكاتهم ولا تقدر مواهبهم . فتم من لا يقوى ملكته الفنية لأن الناس حوله لا يشعرون به ، ومنهم من يفدى مواهبه وملكانته إرضاء لنفسه دون الحاجة إلى إرضاء الناس وهؤلاء هم الذين ستحدث عنهم محاولين أن نظهر شخصيتهم الفنية ، لأن هؤلاء أولى بالحديث عنهم لأن الفن أصيل عندم . وم كما قال أرسططاليس يعيشون للفن فقط ، ومن هنا كان فتم أرفع وأرقى من غن كثير ممن حظوا بشهرة واسعة ، وأما هريضا ، ونالوا تقدير الجمهور وإعجابه .

إكبار له وإعجاباً بنشاطه وحمته ، وامتعت إلى أشعاره ، فعمجت كيف يفعم مثل هذا الفن ، ويجهل مثل هذا الشاعر الكافح المجاهد في الحياة . أنشدني قطعة من قصيدته « ممجزة القرآن الكريم » وفيها يقول :

قالت أتطرب بمد فوت أوانه وترى حليف البشر بمد زمانه وأراك في مرح الصبا وكأنا عاد الشباب إليك في زمانه قلت اسمي يا عز لا تتعجبني إلى سمعت الله في قـرآنه والجن قد سمعت به فتمجبت من رشده ، وصمت إلى رحمانه (عمر) الذي قد كان جدمعاناً للمسلمين يلج في طغيانه لما تلا (طه) استمداد صوابه وأنى الرسول يموج في إيمانه وأنا الأديب تلوته ووعيته فسجدت عجزاً عند سحر بيانه

(ومحمد) لم يخلقه وإنما مولاة يسره أنبا بلسانه الله غازه وناسج برده والمصطفى الـيزاز في دكانه لا يبتنى أجرا على تبيانه فآله آجره بـرحب جفانه

قد أجز الفصحاء منذ زوله حتى يصير الدهر في أكفانه إن كنت تنكر ذلك، فأت بسورة من مثله وأنزل إلى ميدانه أو فانطح الصخر الصليب فأعما مولاك وازنه على ميزانه

أين السفينة؟ أين بعض حطامها؟ يروي لنا ما كان من طوفانه أين المصا؟ تحكى لنا بلسانها ما كان من فرعون أوها مانه أوطين عيسى فيه ينفخ داعيا فإذا به طير على أفنانه بل أين ناقة صالح في شربها؟ ولهيب إبراهيم تحت دخانه فنيت جميع المعجزات ولم يزل حيا يشير إلى الهدى بينانه

من هذه القصيدة الجميلة نرى الشاعر يتأثر بالقرآن الكريم ، ويجرى لسانه بالحديث عن إعجاز القرآن حديث رجل امتلأ بنور الهدى والفرقان ، فانتبس في قصيدته بعض آيات القرآن ، وضمن قصيدته معاني آيات أخرى ، نظمها في هذا الشعر السهل الرقيق ، ثم نرى الشاعر وفق في اختيار الألفاظ التي تلائم المعنى الذي يقصده ملاءمة تامة ولا سيما في البيتين الرابع والخامس ، ففي

البيت الرابع يتحدث عن عمر قبل الإسلام فقال إن عمر كان « بلج في طغيانه » وفي البيت الخامس يتحدث عن عمر بعد الإسلام فقال إنه « موج في إيمانه » ولعل منى في أن الشاعر أحسن كل الإحسان في اختيار هذه الألفاظ التي تدل على ما يرمى إليه مع ما فيها من الموسيقى اللفظية التي تلائم المعنى . ويجعل من الشاعر أن يتحدث في آخر بيت من القصيدة عن معجزات الأنبياء وأنها فنيت وليس لها أثر الآن ، ولكن القرآن الكريم هو المعجزة الكبرى التي لا تزال بل ستظل باقية إلى أن يشاء الله .

وشاعرنا مصرى تتمثل فيه خصائص البيئة المصرية ، وتتجلى شخصيته الفنية في مقطوعاته الفكاهية ، ومداعباته لإخوانه ، أو حديثه مما يحيط حوله من ألوان الحياة ، والمصرى كما قال بعض النقاد - يميل إلى الفكاهة ويتذوقها ، ويقومها اسماعها ، والأدب المصرى منذ أقدم العصور ملي بالفكاهات الشعرية وغير الشعرية ، حتى لتمد الفكاهة ضرورة من ضرورات الحياة المصرية ، والشاعر حسن طنطاوى سليم ضرب بسهم وافر في هذه الناحية حتى لتكاد نذهب إلى أن شعره كله في الفكاهة بل في المجون ، ومتى كانت الفكاهة المصرية خالية من المجون ؟ - استمع إليه وهو يداعب معالي عبد الحميد عبد الحق باشا وزير التموين سابقا إبان أزمة السكر ، وكان الشاعر أصيب بمرض البول السكري .

قل لعبد الحق إن لاقيته لا تخف تقصا يصيب السكر إن عندي منه قدرا هائلا يفرق الأمصار طرا والقرى أشرب الماء نقيما صافيا فإذا السكر فيه قد سرى أبيض اللون فإن حلاته سار في الأنبوب شيئا أحمر ما لكم ترجون (عبودا) وفي مصر من سكره يكفى الورى أو استمع إليه وهو يصف (السويس) إبان الحرب وقد تراحم فيها الناس ، واشتد بها الغلاء ، وتساقت عليها القنابل ، كل ذلك في صور متلاحقة مرعبة يتلو بعضهم ابعضا كأننا نشاهد عرضا سينمائيا .

خرجت من الخويس وفي فؤادي تروح مالها قط التمام لأن بها غلاء لا يداني حلال في جينه الموت الزؤام وأزمة مسكن دون انفراج فليس بها لفتقرب مقام زحام ما رأيت له مثيلا تعالى أن يقال له زحام